الأهرام

المصدر : الاهرام

التاريخ : ٢٧ سبتمبر ١٩٩٥

شهادات

إسرائيل .. ومذابح الأطباء والجرحى فى المستشفيات

د . أحمد شوقى الفنجرى

قرات منذ بضعة ايام تقريرا مترجما عن جريدة «تل ابيب» الإسرائيلية.. حيث . اجرت بعض المقابلات مع السفاحين الاسرائيليين الذين نفذوا طوابير الاعدام فى الاسرى المصريين فى حربى ٥٦ وحرب ٦٧.

وبعضهم انكر هذه الجرائم واخذ يردد تلك النغمة التى نسمعها دائما منهم.. إننا شعب متحضر.. وإننا نراعى آداب الحرب وحقوق الإنسان.. ولايمكن أن نفعل ذلك.. اما الآخرون فكانوا اكثر وقاحة وغرورا.. فقد اعترفوا بأنهم كانوا يقتلون الأسرى بالمئات.. ولايعرفون عددهم. وسئل احدهم لماذا قتلتهم. فقال ببساطة «لأننا لم يكن لدينا طعام لنطعمهم فرأينا أن نريحهم بالموت».. وهذا كلام فيه الكثير من الاستخفاف والاستهتار الوقح بالأرواح.. وعدم الشعور بأى بادرة ادمية او إنسانية. وإلى هؤلاء وهؤلاء أهدى هذه الواقعة التى كنت احد شهودها وضحاياها.. لكى تضاف إلى الحادثة الأخرى التى رويتها فى مقال سابق عن طوابير الإعدام.. انها قصة قتل جميع الأطباء والمرضات والجرحى فى مستشفى خان يونس فى حرب سنة ٥٦.. رغم ان المستشفى كان فيه كل مايلزمهم من طعام وشراب ودواء. ففى اثناء العدوان الثلاثى.. وبعد انسحاب الجيش المصرى من سيناء بدات البوارج الحربية الفرنسية والإنجليزية تطلق مدافعها على غزة وتطلب من حاكمها الإستسلام. وبعد ان استسلمت غزة سمعنا فى الإذاعة ان مدينة خان يونس مازالت تقاوم العدوان وان قائدها البطل واسمه اللواء العجرودى قد رفض ان يلقى سلاحه.

وابتدأ الكثيرون من الأهالى يهربون إلى خان يونس، وخرج إليها كل شاب فى يده سلاح للوقوف إلى جانب هذا البطل الصامد.

وبينما انا اسمع هذه الاخبار فى بيتى مر على سائق سيارة الإسعاف وهو من سكان خان يونس.. واخبرنى بأنه ذاهب بسيارة الصليب الأحمر إلى هناك تطوعا منه. وليساعد فى اسعاف الجرحى وليطمئن على أهله.

وبدون تردد أو مجرد تفكير قررت ان اذهب معه رغم علمى بما فى ذلك من مجازفة قد تكون قاتلة . لقد كان شعورى ان الموت فى بيتى لايختلف عن الموت هناك مع فارق واحد. أن الإنسان يفضل إذا لم يكن من الموت بد.. أن يموت وهو يعمل عملا مفيدا يلقى به الله وعندما وصلت فوجئت بجثث الجرحى من ضحايا المعركة تملأ أركان المستشفى ولقد علا انينهم وصراخهم . وكان اكثرهم من الجنود المصريين والكتيبة الفلسطينية

واتجهت مباشرة إلى حجرة العمليات فوجدت زملائى لايكادون يلتفتون إلى او يحسون بوجودى من كثرة العمل والارهاق رغم ما كان بيننا من صداقة حميمة.. وبدأت بالعمل فورا دون أن نتبادل الكلام او التحية.. ولم ننم جميعا فى تلك الليلة. ولم نتناول طعاما. وعند الفجر كنت واقفا بجوار سرير احد الضباط المصريين الجرحى وكان مغمى عليه من شدة النزيف. وكنت اجرى له عملية نقل دم بعد أن اوقفت النزيف. وكانت الآهات والصراخ من حولى تملأ الآذان فى تلك العنبر الكبير الذى يضم عشرات الأسرة.. وعلى بعض الأسرة اكثر من جريح.

وفجأة دوت طلقات المدافع الرشاشة بغزارة رهيبة داخل العنبر. وظهر الجنود الاسرائيليون الذين اخذوا يطلقون مدافعهم فى كل اتجاه. وابتدأت الأسرة والجثث تطير فى الهواء حتى سقف العنبر.. واصاب الرصاص السرير الذى امامى وجسم الضابط والجريح الذى تطاير إلى اشلاء. وسقط فوقى هو والسرير وفقدت الوعى لمدة لا اعرفها. وعندما افقت كنت غارقا فى بركة كبيرة من الدماء، وفوقى جثة الضابط وفوقها مرتبة السرير. وهذا هو ما حمانى من الموت.. واعتقدت أول الامر اننى ميت.. ولكنى عدت إلى كامل وعيى وتفكيرى. واعتقدت اننى قد اكون جريحا بسبب هذه الدماء . واخذت أحرك اعضائى بحذر شديد ولكنى لم اشعر بأى الم.. لقد كانت هذه الدماء من ثوب نقل الدم. وخشيت إذا تحركت من مكانى ان يقتلونى فاخذت انظر حولى دون أن اتحرك.. وارهف اننى لاسمع . ولكن المكان كان خاليا من أى صوت أو حركة واخذت أزحف فى بطء شديد بين الجثث وقد تأكد لى ان الجنود قد غادروا المستشفى واتجهت إلى غرفة العمليات فى حذر شديد. وهناك اصبت بصدمة عنيفة فقد تحولت الغرفة التى كانت تضج بالحياة إلى مقبرة جماعية.

فقد قتلوا جميع الأطباء. والممرضات والجرحى على النقالات. وهكذا لم يتركوا إنسانا حيا فى المستشفى حتى قطط المستشفى كانت هى الأخرى مقتولة.. وقد استشهد فى هذه المذبحة البشعة ثلاثة من زملائى واعز أصدقائى الأطباء، هم الشهيد الدكتور عبدالمنعم حافظ والشهيد الدكتور سامى عبدالمجيد، والشهيد الدكتور محمد سعيد السيد

وقد علمت فيما بعد أن هذه الفرقة من جيش اسرائيل بعد خروجهم من المستشفى اخذوا يطلقون النار على كل انسان فى طريقهم فى مدينة خان يونس حتى بلغ عدد من قتلوهم فى شارع واحد ٤٠٠ قتيل من المدنيين العزل الآمنين. وذلك حسب ما اعلنه الأستاذ فريح أبو مدين وزير العدل فى الحكومة الفلسطينية هذه الأيام بصفته شاهد عيان اخر.

ولا أنسى ما حييت الألم النفسى الذى كابدته فى أحد الأيام بعد انسحاب اليهود من غزة وانتهاء العدوان الثلاثى.. فقد حضرت أسر هؤلاء الأطباء الثلاثة.. منهم الزوجات والأخوات والأمهات.. وطلبن منى ان ادلهن على مكان جثثهم لكى يحملنها معهن لدفنها فى وطنهم العزيز مصر.. واعتذرت فى الم شديد عن إستحالة الاستدلال عليهم. فقد كان قد مضى اكثر من ستة اشهر على هذه المجزرة.. وكانت الجثث قد نقلت من المستشفى والمعالم كلها قد ضاعت.. فقد كان اليهود فى منتهى الحرص على إزالة معالم جرائمهم.. وحتى لو وجدنا جثة احدهم بين هذه الجثث فى اى مكان.. فما كان يمكن التعرف على صاحبها لأن المدافع الرشاشة كانت قد مزقتهم اشلاء وقطعا متناثرة..

والعجيب بعد هذا كله.. ان قادة معسكر الاسرى فى عتليت الذى اخذونا إليه.. كلما حضر احد المراقبين الدوليين أو جماعة حقوق الانسان يجمعوننا ويلقون امامهم خطبا عن حسن معاملة الاسرى وعن اداب الحرب وعن مراعاتهم لحقوق الانسان. وصدق الله العظيم.. إذ يقول «وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون».

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية